

لطائف المعارف

الكلام على أن النبي كان نبيا قبل أن يخلق .

وظائف شهر ربيع الأول و يشتمل على مجالس : .

المجلس الأول في ذكر مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : .

خرج الإمام أحمد [من حديث العرياض بن سارية السلمي B عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

: إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين و إن آدم لمنجدل في طينته و سوف أنبئكم

بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم و بشارة عيسى قومه و رؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها

نور أضاءت له قصور الشام و كذلك أمهات النبيين يرين] و خرجه الحاكم و قال : صحيح

الإسناد و قد روي معناه من حديث أبي أمامة الباهلي و من وجوه آخر مرسله المقصود من هذا

الحديث أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله و

يخرجه إلى دار الدنيا حيا و أن ذلك كان مكتوبا في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم

عليه السلام و فسر أم الكتاب باللوح المحفوظ و بالذكر في قوله تعالى : { يمحو الله ما

يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب } و عن ابن عباس Bهما : أنه سأل كعبا عن أم الكتاب ؟

فقال : علم الله ما هو خالق و ما خلقه عاملون فقال لعلمه : كن كتابا فكان كتابا و لا ريب

أن علم الله عز و جل قديم أزلي لم يزل عالما بما يحدثه من مخلوقاته ثم إنه تعالى كتب ذلك

في كتاب عنده قبل خلق السموات و الأرض كما قال تعالى : { ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا

في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير } و في صحيح البخاري [عن

عمران بن حصين Bهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان الله و لا شيء قبله و كان عرشه

على الماء و كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات و الأرض] و في صحيح مسلم [عن عبد

الله بن عمرو بن العاص Bهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب مقادير الخلائق

قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة و كان عرشه على الماء] .

و من جملة ما كتبه في هذا الذكر و هو أم الكتاب : أن محمدا خاتم النبيين .

و من حينئذ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم إلى مرتبة الكتابة و هو نوع من أنواع

الوجود الخارجي و لهذا قال سعيد بن راشد سألت عطاء : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم

نبيا قبل أن يخلق ؟ قال : إي و الله و قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام خرجه أبو بكر

الآجري في كتاب الشريعة و عطاء - الطاهر أنه - الخرساني و هذا إشارة إلى ما ذكرنا من

كتابة نبوته صلى الله عليه وسلم في أم الكتاب عند تقدير المقادير و قوله صلى الله عليه وسلم

سلم في هذا الحديث : [إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين و إن آدم لمنجدل في

طينته [ليس المراد به و ا] أعلم أنه حينئذ كتب في أم الكتاب ختمه للنبيين و إنما المراد الإخبار عن كون ذلك مكتوبا في أم الكتاب في تلك الحال قبل نفخ الروح في آدم و هو أول ما خلق من النوع الإنساني و جاء في أحاديث أخر أنه في تلك الحال وجبت له النبوة و هذه مرتبة ثالثة و هي انتقاله من مرتبة العلم و الكتابة إلى مرتبة الوجود العيني الخارجي فإنه صلى ا عليه و سلم استخرج حينئذ من ظهر آدم و نبء فصارت نبوته موجودة في الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة في أم الكتاب ففي [حديث ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول ا متى كنت نبيا ؟ قال : و آدم بين الروح و الجسد] خرج الإمام أحمد و الحاكم . قال الإمام أحمد في رواية مهنا : و بعضهم يرويه : متى كتبت نبيا ؟ من الكتابة فإن صحت هذه الرواية حملت مع حديث العرياض بن سارية على وجوب نبوته و ثبوتها و ظهورها في الخارج فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب : إما شرعا كقوله تعالى : { كتب عليكم الصيام } أو قدرا كقوله تعالى : { كتب ا لأغلبين أنا و رسلي } و [في حديث أبي هريرة B عن النبي صلى ا عليه و سلم أنهم قالوا : يا رسول ا متى وجبت لك النبوة ؟ قال : و آدم بين الروح و الجسد] خرج الترمذي و حسنه و في نسخه صححه و خرجه الحاكم و روى ابن سعد من [رواية جابر الجعفي عن الشعبي قال : قال رجل للنبي صلى ا عليه و سلم : متى استنبئت ؟ قال : و آدم بين الروح و الجسد حيث أخذ مني الميثاق] و هذه الرواية تدل على أنه صلى ا عليه و سلم حينئذ استخرج من ظهر آدم و نبء و أخذ ميثاقه فيحتمل أن يكون ذلك دليلا على أن استخراج ذرية آدم من ظهره و أخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الروح في آدم و قد روي هذا عن سلمان الفارسي و غيره من السلف و يستدل له أيضا بظاهر قوله تعالى : { و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } على ما فسره به مجاهد و غيره : أن المراد : إخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له و لكن أكثر السلف على أن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه و على هذا يدل أكثر الأحاديث فتحمل على هذا أن يكون محمد صلى ا عليه و سلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فإن محمدا صلى ا عليه و سلم هو المقصود من خلق النوع الإنساني و هو عينه و خلاصته و واسطة عقده فلا يبعد أن يكون أخرج من ظهر آدم عند خلقه قبل نفخ الروح فيه